خطبة صلاة الجمعة 14/ 12/ 2018 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

## (صلة المفسرين برسول الله صلى الله عليه وسلم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلا كَبِيرًا ، وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾ [الأحزاب 45].

روى الإمام البخاري عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة. فقال: أجل، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخّاب في الأسواق -يعني صخّاب- ، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا، وآذانا صُمّا، وقلوبا غُلْفا»

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب 21].

**أيها الإخوة:**

بمناسبة دخول شهر ربيع الأول شهر ولادة سيدنا محمد جاءت سلسلة الخطب بعنوان: صلة علمائنا برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لنزداد له محبةً ولنجتهد به اقتداءً ولنكثر عليه صلاةً، صلوات ربي وسلامه عليه.

تحدثت الخطب الماضية عن صلة الصحابة الكرام برسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلة المحدثين والفقهاء والمزكين واللغويين برسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنوان خطبة اليوم:

**صلة المفسرين برسول الله صلى الله عليه وسلم**

**أيها الإخوة:**

لتفسير القرآن الكريم مدرستان شهيرتان؛ التفسيرُ بالمأثور والتفسير بالرأي، والمراد بالتفسير بالمأثور أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن فما أُجْمِل في مكان بُيِّنَ في آخر، وما أُطْلِقَ في موضع قُيِّدَ في آخر؛ فيُفَسِّر القرآنُ بعضُه بعضا، والتفسير بالمأثور هو أن يُفَسَّر القرآنُ بالحديث النبوي الشريف؛ فقد فسّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عددا من آيات القرآن في حديثه، والتفسير بالمأثور أن يُفسَّر القرآن بأقوال الصحابة الكرام. فيتحصل معنا أن التفسير بالمأثور هو تفسير القرآن بالقرآن والحديث وأقوال الصحابة، ومن أشهر كتبه تفسير الطبري وتفسير ابن كثير.

قال الإمام ابن كثير الدمشقي في مقدمة تفسيره (تفسير القرآن العظيم) المعروف بتفسير ابن كثير:

(فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصحَّ الطرق في ذلك أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكانٍ فإنه قد فُسِّر في موضع آخر. فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن ومُوضِحة له. وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السُّنَّة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختُصُّوا بها، ولما لهم من الفَهم التَّام، والعِلم الصحيح، والعمَل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم. ثم إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدتَه عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين).

وأما التفسير بالرأي فهو تفسير القرآن إضافة لما سبق باجتهاد المفسر بعد معرفته لغة العرب وأساليبها وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وطرق الاستنباط وغيرَ ذلك من أدوات المفسر، ومن أشهر كتب التفسير بالرأي تفسير الرازي وتفسير القرطبي.

قال الإمام القرطبي المفسر في مقدمة تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) المشهور بتفسير القرطبي:

(لما كان كتاب الله هو الكفيل بجمع علوم الشرع،... رأيت أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه مُنتي -أي قوتي-، بأن أكتب تعليقاً وجيزاً، يتضمن نكتاً من التفسير واللغات، والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديثَ كثيرةً شاهدةً لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعاً بين معانيهما، ومبيناً ما أشكل منهما، بأقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلف.

وعملته تذكرة لنفسي، وذخيرة ليوم رَمسي – أي موتي ونزولي القبر-، وعملاً صالحاً بعد موتي).

فمهما يكن من مدارس تفسير القرآن وطرقه – كما ترون أيها الإخوة- فإن المفسر لا ينفك عن الاعتماد على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته في علمه، ولا يحيا إلا على محبةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعتِه والتأدبِ معه.

ولأجل هذا تعلق المفسرون برسول الله صلى الله عليه وسلم محبةً وشوقاً، وتمسكاً بسنته وطاعةً لأمره، وهيبةً له وأدباً معه صلى الله عليه وسلم.

**فأما محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له:**

فقد قال ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 64] يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ .

وقد ذكر جماعة منهم: الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه "الشامل" الحكاية المشهورة عن العُتْبي، قال: كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أن شأ يقول:

يا خيرَ من دُفنَت بالقاع أعظُمُه ... فطاب منْ طيبهنّ القاعُ والأكَمُ

نَفْسي الفداءُ لقبرٍ أنت ساكنُه ... فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عُتْبي، اِلحقْ الأعرابيّ فبشره أن الله قد غفر له.

جاء في طبقات المفسرين في ترجمة أَحْمد بن مُحَمَّد الْجلَال أَبُو الطَّاهِر: تُوفِّي سنة ثنتين وثمانمئة بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّة وَدُفن من الْغَد مَعَ شُهَدَاء أحد بِالْقربِ من حَمْزَة خَارج الْمَدِينَة فِي قبر كَانَ حفره بِيَدِهِ لنَفسِهِ وَهُوَ ابْن إِحْدَى وَثَمَانِينَ سنة.

وَيُقَال إِنَّه رام الِانْتِقَال عَنْهَا قبل مَوته بأشهر فَرَأى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي الْمَنَام فَقَالَ لَهُ أرغبت عَن مجاورتي.! فانتبه مذعورا وآلى على نفسه أَن لَا يَتَحَرَّك مِنْهَا فَلم يلبث إِلَّا قَلِيلا وَمَات.

وفي ترجمة الحسن بن محمد شرف الدين الطِّيبيّ، صاحب الحاشية على تفسير الكشاف:

قال الحافظ ابن حجر: كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلاً على نشر العلم متواضعا... شديد الحب لله ورسوله، كثير الحياء، قَالَ فِي حاشيته: رَأَيْت بَيْنَمَا أَنا بَين النّوم واليقظة أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ناولني قدحا فِيهِ لبن فَأَصَبْتُ مِنْهُ شَيْئا ثمَّ ناولته إِيَّاه فَأصَاب مِنْهُ صلى تعَالَى عَلَيْهِ وَسلم وَكنت مترددا فِي الشُّرُوع فِيهَا فَلَمَّا رَأَيْت ذَلِك استخرت الله وبدأت.

لقد أحب المفسرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقوا به.

**وأما تمسكهم بسنته صلى الله عليه وسلم وطاعتهم لأمره:**

فقد قال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة الإِمَام المفَسِّرِ المحَدِّثِ النَّحْوِيّ المرْسِي أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ، أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ يقول:

مَنْ كَانَ يَرغب فِي النَّجَاة فَمَا لَهُ ... غَيرُ اتِّبَاع المصْطَفَى فِيمَا أَتَى

ذَاك السَّبِيلُ المسْتقيم وَغَيْرهُ ... سبلُ الضَّلاَلَة وَالغوَايَة وَالرَّدَى

فَاتَّبعْ كِتَابَ اللهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي ... صَحَّتْ فَذَاكَ إِنِ اتَّبَعتَ هُوَ الهُدَى

الدِّيْنُ مَا قَالَ الرَّسُولُ وَصحبُهُ ... وَالتَّابِعُوْنَ وَمَنْ مَنَاهِجَهُم قَفَا

وجاء في تفسير القرطبي في مسألة مَنْ سَمِعَ الْإِقَامَةَ هَلْ يسرع أو لا؟ قال القرطبي: (ذَهَبَ الْأَكْثَرُ إِلَى أَنَّهُ لَا يُسْرِعُ وَإِنْ خَافَ فَوْتَ الرَّكْعَةِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةَ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**» [رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ فَلَا يَسْعَ إليها أحدكم ولكن ليمشي وَعَلَيْهِ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ صَلِّ مَا أَدْرَكْتَ وَاقْضِ مَا سَبَقَكَ**».

وَهَذَا نَصٌّ. وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا أَسْرَعَ ابْتَهَرَ فَشَوَّشَ عَلَيْهِ دُخُولَهُ فِي الصَّلَاةِ وَقِرَاءَتَهَا وَخُشُوعِهَا.

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ مِنْهُمُ ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى اخْتِلَافٍ عَنْهُ أَنَّهُ إِذَا خَافَ فَوَاتَهَا أَسْرَعَ. وَقَالَ إِسْحَاقُ: يُسْرِعُ إِذَا خَافَ فَوَاتَ الرَّكْعَةِ....

قُلْتُ: وَاسْتِعْمَالُ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ حَالٍ أَوْلَى، فَيَمْشِي كَمَا جَاءَ الْحَدِيثُ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، لِأَنَّهُ فِي صَلَاةٍ وَمُحَالٌ أَنْ يَكُونَ خَبَرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِلَافِ ما أخبره، فَكَمَا أَنَّ الدَّاخِلَ فِي الصَّلَاةِ يَلْزَمُ الْوَقَارَ وَالسُّكُونَ كَذَلِكَ الْمَاشِيَ، حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ التَّشَبُّهُ بِهِ فَيَحْصُلُ لَهُ ثَوَابُهُ... وهو الصواب في ذلك والله أعلم).

فقد تمسك المفسرون بالسنة وأطاعوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلموا أن النجاة كلها في طاعته واتباع سنته صلى الله عليه وسلم

**أما أدبهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وإجلالهم له:**

فقد جاء في تفسير الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب 56].

قال: (﴿ملائكته﴾ ولم يقل الملائكة إشارة إلى عظم قدرهم ومزيد شرفهم بإضافتهم إلى الله تعالى وذلك مستلزم لتعظيمه صلى الله عليه وسلم بما يصل إليه منهم من حيث أن العظيم لا يصدر منه إلا عظيم.

ثم فيه التنبيه على كثرتهم وأن الصلاة من هذا الجمع الكثير الذي لا يحيط بمنتهاه غيرُ خالقِه واصلةٌ إليه صلى الله عليه وسلم على مر الأيام والدهور مع تجددها كل وقت وحين، وهذا أبلغ تعظيم وأنهاه وأشمله وأكمله وأزكاه).

وجاء في تفسير التستري عند قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6] قال التستري: (من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الأحوال لم يذق حلاوة سنته بحال، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أولى بالمؤمنين، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين**». [البخاري ومسلم].

**وبعد أيها الإخوة:**

هذا شيء من صلة المفسرين بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعلقهم به: يحبونه ويشتاقون له، ويتمسكون بسنته ويطيعون أمره، ويتأدبون معه ويجلّونه.

فإذا كان هذا حال أؤلئك الأعلام فما عسانا نفعل لنزداد قربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقا به؟

**أقترح عليك أربعة أمور:**

1- اقرأ شيئا من حديثه صلى الله عليه وسلم وسيرته واحفظ شيئاً من الحديث.

2- الزم ورداً يومياً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واحضر مجلساً للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مرة كل أسبوع.

3- طبِّق ما استطعت من سنته.

4- اصحب من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب 56].

والحمد لله رب العالمين